

إسهامات المخطوطات العربية في النهضة الثقافية "الجزائر وموريتانيا نموذجا"

الأستاذ محمد الأمين ولد أحمد
جامعة موريتانيا

ملخص البحث :

تعرض المخطوطات العربية في العديد من دول العالم إلى الضياع، مما يستدعي من كل المعنيين بالمبادرة إلى حماية هذا الكنز الثمين الذي يروي لنا قصة الحضارة العربية واكتشافاتها المتقدمة في أنواع الفنون المختلفة. ولعل أثر ذلك يتضح لنا من خلال هذه المشاركة؛ والتي نبرز أهمية هذه المخطوطات؛ وخصوصا ما تحويه الخزائن الجزائرية والموريتانية من نصوص فكرية تضم في ثناياها نماذج من تلك الإسهامات المتعددة المصادر.

تمهيد :

تتوفر كل من الجزائر وموريتانيا على كنوز نادرة من المخطوطات الثمينة، وذلك بمختلف فنونها المعرفية ، والتي تمثل تراثا خالدا للعرب ومفخراتنا وحضاريا على مر العصور، مما يكشف عن مدى أهمية العلوم العربية والإسلامية . وإذا تصفح الباحث مصادر هذه المخطوطات سيجد ذلك الإشعاع العلمي والمعرفي الذي تركوه شاهدا على نتاجهم الفكري منذ قرون ، عديدة في القارة السمراء ، وفي غيرها . ونظرا لما يشكله هذا التراث من أهمية في تاريخ الأمم والشعوب ، وإدراكا لقيمتها الفكرية والعلمية والحضارية كان بودي أن أشارك بهذه المداخلة تحت عنوان "إسهامات المخطوطات العربية في النهضة الثقافية في إفريقيا " (الجزائر وموريتانيا نموذجا) والتي سأناقشها في محورين هما :

المحور الأول : النتاج الفكري للمخطوطات الجزائرية

تحتضن الجزائر ثروة مهمة من التراث النادر الذي يعين الباحث والدارس على كثير من الخصائص بمختلف محتوياتها الفكرية كما تنوه بتلك المجهودات العلمية التي قام بها علماء جزائريون في القرون الماضية .

ولاشك أن ما تزخر به من كنوز ووثائق قيمة، أصدق دليل على تاريخها العربي والإسلامي ، الذين تحلت بهما خزائنها التي بمثابة حلقة وصل بين المخطوط والمهتمين به، للوصول إلى ضالتهم، والتي مازال الكثير منها يخترق بين رفوفها، لا يبعثه من مرقدته إلا من له اليد الطولى في البحث والتتقيب عن هذا التراث الذي هو ذاكرة هذه الأمة ، وعنوان هويتها، ومخزون افكارها حتى يجعل النص التراثي معاصرا لذاته من خلال تحقيقه .

هذا ومن أهم ما وقفنا عليه من خلال استطلاعنا أكثر من ألف مخطوط، بين كتب ووثائق في الجنوب الجزائري وشماله، أثر رحلات عدة، كان بوسعنا استخراج بعض الاكتشافات في الخزائن الجزائرية ونتاجها الفكري ، بمختلف فنونه كالتفسير ، والحديث ، واللغة، والأدب ، والفقه، والأصول ، والمنطق ، والفلك ، والطب ...

والتي سنعرضها كالتالي :

المخطوطات في المكتبة الوطنية في الجزائر :

تعد هذه المكتبة من أهم المصادر الفكرية، والثقافية، التي بقيت متعددة الجوانب متنوعة الموضوعات. وكان لها دورها في إبراز تلك الإسهامات وتحدث عن بعض أولئك النوابغ الذين أثروا الحياة العلمية في الجزائر .

وقد سعت هذه المكتبة إلى تطوير القسم العربي لديها وتبنت فكرة جمع المخطوطات من المكتبات العامة والخاصة "و يبلغ رصيد المكتبة أزيد من 4200 مجلد مخطوط باللغة العربية ، وقليل باللغات التركية والفارسية ، يعود تاريخها إلى عهود مختلفة كما يرجع تاريخ نسخ أقدم مخطوط في القرن الثالث أو الرابع الهجري، وهو جزء من القرآن الكريم بخط كوفي ونسخ على جلد الغزال إضافة إلى هذا تحوز المكتبة الوطنية الجزائرية :

60000 كتاب نادر .

2000 خريطة جغرافية

4000 دورية

17000 صور فوتوغرافية

800 لوحة فنية

9000 لوحة اشهار¹

ومن بين هذه الكنوز التي تمت فهرستها :

"كتاب تدقيق العناية في تحقيق الرواية : للعلامة إبراهيم بن عبد الله بن عبد المنعم الحمود ت 642 هجرية مؤلف أدب القضا"²

وقد نسخ عليه في الورقة الأولى : بأنه بخط ابن حجر والبدر الزركشي
"المسالك على موطأ مالك" لمؤلفه : أبوبكر ابن العربي: محمد بن عبد الله الأندلسي ت 543هـ.

"اختصار شرح الجعبري على الشاطبية للشيخ سيد محمد بن علي الشريف "
يقول في مقدمته: يقول العبد الفقير لرحمة ربه القدير محمد بن علي الشريف الزواوي
اقلما وبلدا ومولدا قرية بجانب واد بجاية هذ وإني لما اطلعت شرح الإمام الجعبري رحمه
الله فإذا به كبير الحجم حافل العلم اقتصررت على حل الفاظ القصيد واعراب مفرداتها
وبعض جملها وبعض توحيد مفرداتها وكلما قلت والأختيار فالمراد اختياريه .
"الإبريز المسبوك كيفية أدب سير الملوك" لمؤلفه ابن الأزرق محمد بن علي بن
محمد الأصبحي الأندلسي المالكي³

"انشاء الشريد من ضوال القصيد للعلامة ابن غازي محمد بن أحمد بن محمد العثماني
المكناسي ت 919 هجرية⁴

¹-المصدر مقال للدكتور يحيى بن بهون حاج امحمد تحت عنوان : جهود المكتبة الوطنية الجزائرية في حماية وترميم المخطوط من خلال دورة تكوينية بمخبر الحفظ والتجليد - نشرته مجلة رفوف التي تصدرها مخبر المخطوطات الجزائرية بغرب إفريقيا - جامعة

أدرار - العدد الثالث 2013 م الصفحة 71

²-توجد هذه النسخة تحت رقم 544

³-نسخة فريدة من نوعها توجد تحت رقم (275) قد نسخها الحاج بن محمد الفرج بن الصديق بتاريخ (883هـ)

⁴-وقد نسخها أحمد بن عمر بتاريخ 999 هـ وقد وضعت عليها حواشي إلا أنها متأثرة بالرطوبة وتوجد هذه النسخة تحت رقم (367)

"الأنوار السواطع على الدرر اللوامع" لمؤلفه السملالي: الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي الشوشاوي ت 899 هـ

"شرح لامية المجراي في اعراب الجمل لمؤلفه الحسن بن يوسف بن مهدي العبادوي ت 1062 هـ ومن جملة شرحه ما ذكره عند قول المؤلف :

كذا إن تجب شرطاً بها غير جازم كمثل إذا ولو ولولا فكما
وإن يك ذا جزم ولم تقترن بفا ولا بإذا فالحكم فيها كذا اجعلا
فأشار في هذين البيتين إلى مسألة واحدة وهي الجملة التي يجاب بها شرط غير جازم أو جازم لكنها لم تقترن بالفاء ولا بإذا الفجائية:

كتبت هذه النسخة بخط حسن الجزائري الحنفي بتاريخ 1147 هـ
" تنوير الحالك على منهج السالك إلى الفية بن مالك ¹ للعلامة الإسقاطي: احمد بن عمر المصري الحنفي أبو السعود ت 1159 هـ

يقول في مقدمته "فهذه فرائد فوائد وضعتها وضعتها على شرح الألفية للعلامة الأشموني قد أمرني بجمعها شيعي : محمد أبو السعود وسميتها تنوير الحالك على منهج السالك .
وقد كان للحاج مصطفى بن عبد الله الجزائري في القرن الثاني عشر الهجري اسهام معرفي في الحديث والفقه والتاريخ والتصوف من حيث استنطاقنا لعدة مخطوطات قد نسخها في مدينة الجزائر نذكر منها على سبيل العد لا الحصر :

"تحفة المحبين في شرح الأربعين " محمد حياة بن إبراهيم السندي الحنفي ت 1162 هـ
قد نسخها الحاج مصطفى بن عبد الله الجزائري بتاريخ ثمانية وعشرين من رمضان من شهور 1158 هـ في مدينة الجزائر حميت من البأس والضرر ².

كما تم نسخه لشرح حكم ابن عطاء الله لمؤلفه محمد حياة بن إبراهيم السندي ثم المدني بتاريخ 1159 هـ في بلدة الجزائر حميت من البأس والضرر .

وقدونه في آخر الكتاب بقوله "وكنيت تلقيت مع الشيخ محمد حياة في مكة المشرفة وأخذت عنه بعض الأوراد سنة ست وخمسين ومائة والف من الهجرة" ³

¹ -تحت رقم (100)

² -توجد هذه النسخة تحت رقم (262)

³ -لم تتم فهرسته بل ظن أنه من تكملة المحبين فقد اتحد فيه المؤلف والناسخ للتكملة

"أسئلة منقولة عن العز بن عبد السلام وقد أجاب عنها محمد حياة بن إبراهيم السندي وهي تتعلق بآيات من القرآن الكريم وقد نسخها الفقير إلى الله مصطفى بن عبد الله وقد نقلها من خط المؤلف بواسطتين في الجزائر حميت عن الآفات والبلى¹ شرح على الأحاديث التي جمعها الشيخ علي القارئ، وهي من جوامع الكلم، وهي ما بين صحيح وحسن وضعيف لمؤلفها محمد حياة بن إبراهيم السندي، ثم المدني المدرس في الحرم الشريف النبوي، ونسخها تلميذه الحاج مصطفى بن عبد الله من نسخة نسخت من نسخة المؤلف وقت الظهر من يوم الأحد وهو اليوم التاسع من شهر ذي القعدة في يومه التاسع في وقت الظهر بتاريخ 1159هـ في مدينة الجزائر صينت من الآفات والبلى .

"اللمعة في اجوبة المسائل الأربعة في كتب البسمة " لمؤلفه أحمد بابا بن أحمد بن الحاج الذي تم تأليفه لها سنة 1124هـ يوم الثلاثاء الحادي عشر من شوال وقد نقله الحاج مصطفى بن عبد الله من خط مؤلفه يوم السبت من ربيع الأول سنة 1158هـ

"اجوبة للعلامة أحمد بابا التتبيكتي ت 1036هـ من ضمنها التفضيل بين الشرفاء اهل البيت والعلماء العاملين فنوه في جوابه أن التفضيل حيث هو أمر صعب ومركب عسر لا ينبغي التطوف حول حماه إلا بنص جلي يدل عليه مقتضاه أو دليل جلي يظهر في ذلك معنى. وإلا فلا ينبغي الإقدام إليه ولا الإشارة إليه؛ لأنه توقيع على أمر الله بما لم يعلم... وقد نسخها الحاج مصطفى بن عبد الله من خط المؤلف يوم الأربعاء بعد العصرتاسع عشر من ربيع الأول سنة ثمان وخمسين ومائة والى في المدينة الجزائرية.

"تبر المسبوك في جهاد غزاة جزائريين والملوك " باللغة التركية²

"الكوكب الجوال في شرح لامية الافعال " لمؤلفه "محمد بن سعيد بن محمد الطنجي نسبا والمستغانمي منشأ ومولدا الجزائري دارا ومستقرا المالكي مذهب الاشعري معتقدا. فقد أبرز في هذا الكنز الثمين قدرته العلمية على تفكيك مفردات هذا النظم مع الاستدلال بنفائس المصادر اللغوية والأصولية .

¹ -كما أشار في آخر الكتاب أنه التقى معه قبل ذلك بسنتين بمكة المكرمة زادها الله شرفا وتعظيما

² -تحت رقم 1640

³ -تحت رقم 13

"ايضاح الدرر اللوامع"¹ لمؤلفه العلامة أبي زيد الشعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري ت 875هـ

"المتجر الربيع في شرح الجامع الصحيح" لابن مرزوق التلمساني
المخطوطات في أدرار "توات" الجزائر:

تكمّن في منطقة توات مخطوطات ووثائق نادرة ، من موروثها الثقافي والفكري ، والتي تتوزع بين أقاليمها - تيدكلت وتوات - وكرارة- وقد كان للمركز الوطني أثره في المساهمة في طباعة فهرسة جملة من هذه المخطوطات وهذا "مما يؤكد بأن للجزائر مساهمة واضحة في ازدهار الحضارة العربية الإسلامية من خلال انتشار مراكزها الإشعاعية"² من دون أن ننسى تلك الرحلات العلمية التي يكلف بها بعض الطلبة من جامعة أدرار لإلقاء دراسة عن مقتنيات بعض المكتبات التواتية.

هذا وقد قمنا برحلة أزيد من سبعة أشهر بين رفوف مكتباتها³ وقد اطلعنا على أهم كنوزها ووثائقها والتي توحى بأهمية هذا الإقليم من كونه ملتقى للرحلة الحجازية وللقوافل التجارية حيث أن الحجاج القادمين من جنوب المغرب الأقصى والجزائر والسودان بمرور بإقليم توات مما يؤدي وفرة المخطوطات في هذه المنطقة.

المخطوطات في قسبة المرابطين في أنزجمير "أدرار" :

تعتبر هذه المكتبة من أهم الخزائن التواتية لما تحتضنه من ذخائر نادرة فمن ضمنها مخطوطات في مختلف الفنون ووثائق وإجازات نادرة نذكر من ضمنها :

" إجازة لم نعرف المجاز بها مع أنه استطردها فيها سنه كاملاً يقول فيها بعد الحمد الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (أوصيكم مراعاة أوقاتكم والمداومة على أورادكم والعرض بالنواجذ على طريقتكم الشاذلية العالية الإسناد إلى أن يقول فيها :أخذنا عن

¹ -توجد تحت رقم 405

² -انظر مخطوطات أدرار اعداد كل من الدكتور: بشار غويدر - والدكتور :حسان مختار- منشورات المركز الوطني في أدرار ص 9

³ -كمكتبة سيداحمد ديدوي في تمنطيط ومكتبة كوسام ومكتبة قسبة المرابطين ومكتبة الشيخ باي في ءاولف ومكتبة بوانعامه ومكتبة باعبدالله ومكتبة سيدالبكري ومكتبة زاوية كنته ومكتبة بودة ومكتبة لمطارفة

سيدنا ووالدنا القطب الأشهر سيدي أبي بكر عن سيدنا أبي الحسن سيدي عن والده أبي يعقوب سيدي يوسف عن العالم العلامة سيدي محمد بن عبدالسلام بن حمدون بناني الفاسي عن شيخه الخليفة الأكبر سيدي ومولاي محمد بن ناصر عن شيخه سيد عبدالله بن حسن عن شيخه سيد أحمد بن علي الحاج الدرعي .. إلى أن يصله بمولانا علي كرم الله وجهه.

"قصيدة من نواذرالشعر" للعلامة الأديب الحائز من الأمداح النبوية أوفر نصيب سيدي محمد إدواعلي الشنيطي وفقه الله على حروف قوله جل وعز (ادعوني استجب لكم) وقوله (فيسكفيهم الله وهو السميع العليم) في أوائل الاضطار الأول من القصيدة ، وقوله تعالى: (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) وقوله: (فلما رأيته أكبره) في أوئل الاضطار الأخير من القصيدة المباركة الكثيرة الخير والبركة والتي مطلعها:

أمري اليك رفعته فيا خالقي فارحم دعائي منك يارحمان
دارك بجودك فاقتي يامن إذاما ألزمت باباه اغناني
عودت منك إجابة يامن إذا ناديته لمئاري لباني¹

وقد ذكر الدكتور: العربي عبد الرحمن² قصيدة العلامة محمد بن أب المزمري ت 1160 هـ في دراسته وتحقيقه لها، وهي في التوصل على حروف الآية (ادعوني استجب لكم)

فقد أوفى بالتزام حروفها في مبادئ أبيات قصيدته والتي مطلعها :

وإليه أمري في الحوادث كلها فوضت جزما أنني أكفاه

وقد نوه إلى أن هناك قصائد في الخزائن التواتية تشبه هذه القصيدة لكن لم يشبهها في النمط حسب اطلاعه إلا منظومة للحسن اليوسي ت 1102 هـ على حروف "ادعوني استجب لكم" ومنظومة للشيخ عمر الفوتي ت 1261 هـ التي نظمها على حروف قوله تعالى: (والله يعصمك من الناس) . لكن من الغريب أنه لم يطلع على هذه القصيدة

¹-نقلته من الأصل والقصيدة طويلة في حدود الأربعين قداكتشفها في مكتبة قسبة المرابطين في انزجيم - أدرار - الجزائر لم تكن في ديوانه الذي حققه الدكتور : احمدالجفري تحت عنوان - رجال في الذاكرة (سيدي محمد إدواعلي)

²-المصدر : مجلة رفوف - العدد الأول ص 105

التي ذكرنا لسيد محمد ايدواعلي وهو معاصر له إلا أنه قد ابدع في التزامه في كل اشطارها بالآيات التي ذكرنا .

وقد اطلعت على تخميس لابن أب المزمري ت 1160 هـ على قصيدة لسيدي محمد الإدواعلي في مكتبة زاية سيد البكري اذ يقول فيها :

ولما غدت سفن الهموم غريقة وصارت حبال الود مني وثيقة
وأضحت رياض القول فيك أنيقة رأيتك يا بدر السعود حقيقة
ووجهك نور من الشمس ألمع

فله ما أبديته من بشائر ولله ما حوّلت من مفاخر
وهل ينكر الليضا صحيح المحاجر صفاتك لاتخفى على كل ناظر
ولم نقف على وفاته إلا أنه كان حيا في اعباني¹ في توات 1139 هـ وانتقل منها إلى تنبكتو وتوفي فيها .

" كتاب الدرة الصافية في حل الفاظ الكافية للعلامة سيدعبدالله بن الحاج حمى الله الشنجيطي منشأ الغلاوي نسبا توجد منه هذه النسخة الفريدة من نوعها مع أن البرتلي قد ذكر في ترجمته للمؤلف أنه شرح الكافية من غير أن يذكر اسمه "الدرة الصافية في حل الفاظ الكافية" وقدختمه بقوله "قال مقيده عبدالله بن أحمد بن أحمد بن الحاج حمى الله عفا الله عنه بمنه وكرمه قد كنت في شنجيط جمعت فيه واوعيت ولم يتم حتى أتيت الحوض فأردت أن أتمه فلم أجد شروح المؤلف الذي كان اعتمادي عليه ... فلما خفت فجأة المنون التقطت هذه العجالة من شروح الألفية والتسهيل وغيرهما وبيضت لما غلبني حتى من الله علي بجلّ شرح المؤلف فرفعت منه جل الياض وقيت هذه الخاتمة إلى أن يشاء الله"²

المخطوطات في تيندوف: "مكتبة أهل بللمش "

"شرح المقدمة الرحبية" لمحمد بن سبط المارديني³

¹-فقد اطلعت على وثيقة فيها تحبب جنان من ابن عمه الحاج المختار بن بكو العلوي على اولاد سيد محمد ايدواعلي سنة 1139 هـ

²-الورقة الأخيرة من الدرة الصافية في حل الفاظ الكافية والنسخة في حالة جيدة .

³-تحت رقم (7)

"رسالة النصح عن سلم الطعام بالملح للعلامة محمد بن احمد الصغير المسلمي النيشيتي
قد نسخها محمد احمد بن سالم¹

"هدي الأبرار على طلعة الأنوار" سيد عبدالله بن الحاج إبراهيم ت 1230 هـ العلوي
الشنقيطي في مصطلح الحديث فقد نظمته وشرحه... وقد نسخها العلامة محمد المختار
بن بلعمش ت 1287 هـ الجكني التندوفي سنة 1249 هـ من نسخة من خط المؤلف
ومريده الطالب أحمد بن اطوير الجنبه الحاجي²

المحور الثاني : المخطوطات الموريتانية وأثرها العلمي :

عرفت بلاد شنقيط "موريتانيا" بمخطوطاتها ووثائقها التي لم تزل شاهدة على آثار علمائها
وما قدموه من اسهامات في الحركة الفكرية منذ قرون عدة "إلا أن كفاح المدن القديمة في
موريتانيا ومصارعتها من أجل البقاء جعل منها درة حية لتاريخ المنطقة برمتها ومرتكزا
تقوم عليه مصادر البحث في التراث الشنقيطي بشكل خاص³ وقد أخذت مصادرها من
رحلاتهم المتعددة، في المشرق والمغرب ، وطبعوها بذاتيتهم الخاصة.

ويتضح من هذه الثقافة انتمائها إلى المراجع المغربية والأندلسية ذلك أن الدعوة
الإسلامية امتدت أولا من القيروان إلى سجماسة ومنها إلى الصحراء ثم انتظمت حلقات
الوصل بين قرطبة ، وفاس، وبين الصحراء ، والسودان ، وتعززت في فترات معينة حتى
أخذت شكلها النهائي في مجموعة من المعارف تعتمد على متون أغلبها من المغاربة
والأندلسيين⁴.

و لعل الرحلة الحجازية من أهم هذه الروافد العلمية ، التي ربطت الصلة بين بلاد شنقيط
وتوات والسودان .

وقد كان العلامة أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي ت 1157 هـ الشنقيطي الملقب بالتواتي
كثير التردد بين بلاده وتوات فقد "حج مرات بيت الله الحرام وهو شيخ الركب من أرضنا

¹- تحت رقم (15)

²- تحت رقم (40)

³- محمد الأمين بن أحمد : رسالة الماستر -2013م-2014م تحت عنوان (الرجال والكتب والوثائق من بداية التوثيق إلى نهاية القرن

الثاني عشر الهجري في موريتانيا ص 3

⁴- د. محمد المختار ولد أباه الشعر والشعراء في موريتانيا ص 33

حتى يصل إلى توات فيكون الأمر لأبي نعام ت 1163 هـ رحمه الله ¹ ومن أعلام الشناقطة الذين رحلوا إلى توات الحاج المختار بن بكّ وابن عمه الفقيه النحوي الشاعر سيد محمد ايدواعلي.

وقد ذكر البرتلي: أحمد التواتي بن محمد بن عمر ت 1138 هـ من التسابيت " انه رحل من توات إلى ولاته وكانت له خزانة مليئة بكتب التصوف ² .

وفي إطار مشروع صيانة وتنمين التراث الثقافي لمدة خمس سنوات وتم جرد 36000 مخطوطا موزعة على 675 مكتبة و 289 موقعا كملت طباعة فهرسة مخطوطات كل من تيشيت ، وولاته، وشنقيط ، كما قامت "جمعية شنقيط لجمع الآثار وصيانتها بتقرير عن فهرسة المخطوطات في وولاته وتيشيت، وتجكجه، وشنقيط، في إطار اتفاقية بين الجمعية والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم سنة 2011³ م"

تتضح لنا رؤية عن أهمية هذه المخطوطات مع ثرائها بمختلف الفنون ، والتي تنوه بتلك النهضة العلمية التي شهدتها هذه البلاد وما أسهمت به من هذا الموروث الثقافي الذي قد ضاع جله بسبب الهجرات ، والحروب التي تعاقبت عليها .

ولذا سنعرض نموذجا من هذه التصانيف الموجودة في بعض المكتبات في موريتانيا : المخطوطات في مدينة شنقيط :

لمدينة شنقيط تاريخها الثقافي الذي جعل منها درة حية، تتسم بمعالها الفكرية وقد كان قاطنوها "العلماء المتجولين في شمال إفريقيا والسودان كما كانوا يوفدون كل سنة وفدا من الحجاج يضم علماءهم ومدرسيهم"⁴ هذا ويرجع تأسيس المدينة الأولى (أبير) 160هـ وكانت واحة مأهولة بعدد كبير من القبائل تفرقو فيما بعد ثم تأسست المدينة الثانية "

¹-انظر فتح الشكوفي معرفة اعيان علماء التكرور للطالب محمد بن أبي بكر البرتلي الولائي تحقيق الدكتورين : احمد جمال ولدالحسن والدكتور عبدالودود ولد عبد الله ص 95 ط مركز نجيبويه

²-البرتلي :المصدر السابق ص 83

³-جمعية شنقيط لجمع الآثار وصيانتها :تهتم بجمع التراث وبإسمي أمينها العام وباحتها كلفتني الإيسكو برحلة علمية إلى هذه المدن ووافيتها بتقرير عن حالة هذه المخطوطات

⁴-الشعر والشعراء الدكتور محمد المختار ولد أباه ص 26

شنقيط " وقد حظيت بمكتباتها التي توجي بمكانتها العلمية وما تتحف به من كنوز نيرة ومن ضمنها:

" نسخة كاملة من المحلى : محمد بن بن إبراهيم بن هاشم الجلال أبو عبد الله الأنصاري ت 864هـ وهو شرح جمع الجوامع للسبكي في الأصول تم نسخها 1065هـ¹.

" نسخة من صحيح البخاري رواية الحافظ العلامة بن سعادة ت² 566هـ

" نسخة من صحيح البخاري قد حبسها الأمين بن أحمد بن الحاج بن أحمد بن الحاج محمد حبسا مؤبدا على جامع شنقيط سنة 1040هـ

" شرح كنز الدقائق³ لسيدي محمد العيني بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحلبي القاهري الحنفي المعروف بالعيني (بدرالدين ،أبوالثناء ،أبو محمد) فقيه أصولي مفسر محدث مؤرخ لغوي نحوي بياني⁴ ت 855هـ

" أسئلة العلامة سيد عبد الله بن محمد بن القاضي عبد الله ت 1144 هـ للششتوكي⁵ تفسير الثعالبي :لأبي زيد عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف⁶ ت 875 هـ فقد وقفت على ورقات منه ووثق عليها " قدتملكها المختار بن محمد بن الفغ بشراء صحيح مقبوض الثمن جعله الله سترا لنا من الأشرار وارزق لنا فهمه بالكلية بما احتوى عليه من التفاسير⁷"

" منح الوهاب في المنطق للعلامة أبو عبد الله بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ت 909 هـ خاتمة المحققين والعلماء العاملين مع البراعة والتقنن في العلوم والصالح والدين المتين⁸"

هذا وقد أخذت "الإجازة مكانة علمية في الكتب إذ يمكن للمحقق أن يستنبط أمورا كثيرة منها كالعلاقة الفكرية التي تربط المشرق بالمغرب وأسماء المجيزين والمجاز لهم وولادتهم ووفائهم ونسخة النص وتاريخ نسخها¹"

¹-المصدر مكتبة أهل أحمد شريف في مدينة شنقيط

²-المصدر مكتبة أحمد شريف في شنقيط

³-المصدر مكتبة أهل حبت في شنقيط

⁴-معجم المؤلفين (12_150)

⁵-المصدر السابق (مكتبة أهل حبت

⁶-المصدر :مكتبة أهل حامي في شنقيط

⁷-قدوثقه العلامة شيخ الشيوخ محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي ت 1107هـ

⁸-المصدر مكتبة أهل أحمد شريف في شنقيط م

وما هي إلا نظام أساسي للرحلة في البحث عن المعرفة التي وضعت في وقت مبكر عن طريق طلاب علم الحديث بما فيها السفر إلى المشائخ .

ولذا أردنا أن نعرض هنا إلى إجازة القاضي عبدالله بن الفقيه محمد بن حبيب العلوي الشنقيطي ت 1103 هـ في تواليف الشيخ خليل عن الشيخ علي الأجهوري بسنده إلى نورالدين السهوري عن العلامة محمد البساطي عن تاج الدين بهرام عن الشيخ المؤلف خليل².

وأجاز بها القاضي عبدالله بن الفقيه محمد العلامة محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي ت 1107 هـ

كما أن ابن الأعمش قد أجازته الفقيه الحاج عبدالله بن محمد البوحسني المغربي بإجازته في كتاب الشفا بتعريف بحقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم التي أخذها عن الإمام الحافظ ذي التصانيف العجيبة أبي عبدالله محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي عن والده عن الإمام محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي الغرناطي الشهير بالفصار عن شيخ الإسلام زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري المصري عن أبي الفرات عن الدلاصي عن ابن تميم عن ابن الصانع عن مؤلفه القاضي عياض رحمهم الله³.

المخطوطات في مدينة ولاته :

عرفت مدينة ولاته بوصفها ملتقى للطرق التجارية حيث كانت تمر بها القوافل المتجهة إلى بلاد السودان وقد تجلى دورها الثقافي حسب المصادر التاريخية التي تحدثت عن نشأتها وروابطها الخارجية " ومن الحوادث التاريخية التي كان لها الأثر في تفوق مركزها الحضاري هجرة العلماء الطوارق إليها"⁴ وقد كان لهذه المدينة ما حظيت به من نفائس المخطوطات ومن بينها :

¹ - محمد الأمين بن أحمد : الرجال والكتب والوثائق من بداية توثيق إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري في موريتانيا 2013 م -

2014م ص 111

² - اعتمدنا في هذه الإجازة ما ذكره صاحب فتح الشكور : محمد بن أبي بكر البرتلي ت 1219 هـ اعتمدنا في هذه الإجازة ما ذكره صاحب فتح الشكور : محمد بن أبي بكر البرتلي ت 1219 هـ

³ - المصدر السابق : محمد الأمين ولد أحمد (رسالة الماستر) : الرجال والكتب والوثائق من بداية التوثيق إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري في موريتانيا

⁴ - المرجع لسابق الشعر والشعراء الدكتور محمد المختار ولد أباه ص : 25

"المنن العديدة في إيضاح مسائل الفريدة¹ للفقيه العلامة محمد بن المختار بن الأعمش
ت 1107هـ

وهو شرح ألفية جلال الدين الإمام أبي زيد عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي ويقول في
مقدمتها "وقد تعاطيت فيها جهدي مع قصور باعي وتكلفت مايسر المولى الكريم من
النقول مع قلة اطلاعي موردا فيها نص التسهيل بلفظه ليكون دليلا على المسئلة وإعانة
على حفظه قائلًا ما قاله الإمام ابن عبدالكريم رحمه الله

أيا قارئًا ماقد كتبت تسامحا وسترا على خلف وجدت هنالك
وجود كتاب لا اختلاف بنظمه محال علي ولو كنت مالكا

"الزهور الوردية في الفتاوى الأجهورية²

" الجزء الثاني من فتح الوهاب في بيان الفاظ هداية الطلاب³ " للعلامة سيدالمختارين
أحمد بن أبي بكر الكنتي وهو مختصر في الفقه المالكي يقول في مقدمته في الجزء
الأول :وإنه لما كان فن الفقه اقرب الفنون إلى الإفهام اعتنى بضبطه وجمعه جهابذة
العلماء الأعلام لقرب مأخذه من السنة .

" شرح نظم بيوع ابن جماعة "قد نظمته الفقيه عبدالله بن الحاج حمى الله الغلاوي ت
1208 وشرحه ابنه محمد البار⁴

المخطوطات في مدينة تيشيت :

مدينة تيشيت من أعرق هذه البلاد في الحضارة والعلم أسسها الشريف عبدالمومن دفين
جامعها العتيق ويقول أبناءه أنه كان تلميذا للقاضي عياض " ولم تزل القرية تضم كنوزا
من المخطوطات العربية النفيسة التي تنبئ عما وصلت إليه من أوج الحضارة في القرون
الماضية⁵ وتكشف المكتبة التيشيتية عن عطاءات جلييلة لعلماء مضو وتركوا إسهامات
كان قد نساها الزمن ومن بين هذه الذخائر:

¹ - المصدر مكتبة أهل سيد عثمان

² -المصدر مكتبة أهل الحاج اعمر

³ -المصدر : مكتبة أهل سيد عثمان

⁴ -مكتبة أهل أبيه

⁵ -المرجع السابق الشعر والشعراء للدكتور محمد المختار ولد اياه ص 27 -28

" اختصار نوازل الشيخ الإمام القدوة أبي إسحاق سيد إبراهيم بن هلال السجل ماسي للعلامة أبي بكر بن محمد بن الحاج أحمد اند عبدالله بن علي بن الشيخ المحجوبي الولائي وقد حذف المتكرر منها ورتبها أي جمع مسائل كل باب منها في باب واحد.

وقد أراد أن يرتب معها نوازل أبو علي ناصر الدين منصور بن أحمد بن عبدالحى المشدالي و نوازل الفقيه المفتي أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن يحيى الزواوي ويرتب معها ما في أجوبة الفقيه المدرس أبو عزيز محمد بن علي وأن يرتب معها ما في أجوبة سيدي أبي القاسم بن عبد الجبار الفقيهي وما في أجوبة العلامة المفتي قاضي الجماعة بتلمسان أبي عثمان سعيد العقباني¹

" نسخة من تهذيب المدونة قد نسخها محمد بن محمد بن محمد بن محمد مسلم في تيشيت سنة 876هـ

" نوازل السالك بن الإمام الوداني²

" نشر البنود على مراقي السعود: لمؤلفه سيد عبدالله بن الحاج إبراهيم ت 1233هـ³
" المحجة الغراء في مدح خير البرية⁴ سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للشاعر سيد محمد بن محمد بن أحمد بن المختار الملقب بك العلوي نسباً الشنقيطي مولدا.

" نوازل لابن مرزوق التلمساني بتاريخ 1082هـ بخط الأمين بن محمد بن الحاج الأمين بن أحمد بن ويس الغلاوي الشنقيطي وهو من الشخصيات العلمية في مدينة شنقيط التي كان لها أثرها العلمي وخصوصاً في نسخ الكتب⁵.

" نسخة من فتوحات ذي الرحمة والمنة في شرح إضاءة الدجنة تأليف العلامة محمد بن المختار بن الأعمش العلوي الشنقيطي ت 1107 هـ وقد شرح بها نظم الفقيه الوجيه النبيه أبي العباس أحمد بن محمد المقرئ التلمساني أصلاً والمصري وطناً.

¹ -المصدر : مكتبة اهل الشريف عبدالمومن

² -المصدر السابق مكتبة اهل الشريف عبدالمومن

³ -مكتبة اهل الشريف عبدالمومن

⁴ -المصدر : مكتبة الأوقاف

⁵ -المصدر مكتبة الأوقاف

ويقول الشارح "وهي قصيدة في خمسمائة بيت تشمل على فصول من قواعد علم التوحيد وقد ألجأه إلى هذا الشرح كتاب صاحبنا الفقيه الحاج أبي محمد عبد الله بن محمد بن أحمد البوحسني المغربي حفظه الله وقد أخذت هذه القصيدة إجازة عن صاحبنا المذكور عن أبي مهدي مفتي الحرمين ومسندهما عيسى بن محمد بن أحمد الجعفري الثعالبي الجزائري المالكي عن أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري السجلماسي عن مؤلفها واخبرني بها عالما إجازة مفتي المدينة أبواسحاق إبراهيم الكردي الشافعي عن عبد الباقي الحنبلي عن مؤلفها¹"

وقد ختم شرحه للإضاءة بما قاله الإمام الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ت 909 هـ رضي الله عنه كما أخبره به الأخ في الله الشريف محمد بن عمر الوداني² وقال أنه وجده بخط جده أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب الفزاري³ وقال أنه وجده بخط ابن عبد الكريم على ظهر شرح له لابن الحاجب⁴ ت 646 هـ من بيوع الأجل قال :

أيا ناظرا ما قد كتبت تسامحا
فكل كتاب لا اختلاف بنظمه
وكتب على ظهره أيضا مانصه:
أسير خلف ركاب النجب ذا عرج
فإن عقت بهم من بعد ما سبقوا
وإن ضللت بقعر الأرض منقطعا
وهذا مما يؤكد أن المغيلي قد شرح مختصر ابن الحاجب والذي وصل لبلاد شنقيط مبكرا
لم يزل في طي النسيان ولعل اكتشاف هذا الكنز الثمين من التراث الجزائري وبخط مؤلفه
ومما ينوه حرصهم على اقتناء الكتب . .

¹-المصدر: نقلا من الأصل-نسخة بحوزتنا من (فتوحات ذالمن على اضاءة الدجنة للفقهاء محمد بن المختار بن الأعمش ص 5
²-في النسخة التشييتية التي نسخت من نسخة المؤلف أن الشريف محمد بن عم الوداني وجده بخط المغيلي أما نسخة أمكتبة أهل بلعمش في تيندوف فيها أن الشريف وجده بخط جده سيد أحمد الفزاري وقدنسها المصطفى بن عباس بن خيرى التندغي للمختار بن أحمدين محم بن جب الجكني

³-من أقدم فقهاء وادان أخذعن الفقيه الحاج أحمد والسيد احمدبا با ترجم له البرتلي تحقيق الدكتور: عبدودود ولد عبد الله والدكتورجمال ولدالحسن ولم ينكرالبرتلي وفاته لكن أشارالمحقق أنه عاش في أواخرالقرن العاشر وأول الحادي عشر الهجري

انظرص 78

⁴-وهذا مما يؤكد أنه شرح مختصر ابن الحاجب وقد وصل بلاد شنقيط وبعد كل البحث لم نقف عليه

"وجل ما خلفه هؤلاء العلماء ، يتمثل في أنظام وشروح، تتناول في أغلب الأحوال العلوم الدينية ، فالشروح والطرر يؤلفها عادة العالم الذي ينتصب للتدريس لاستكمال الاستيعاب والأداء أما المنظومات فتستعمل لتسهيل عملية الحفظ لأن المدرس يعتمد على الذاكرة لعدم توفر مواد الكتابة ، وصعوبة القراءة، في كثير من الأوقات¹". ويقول العلامة المختار بن بونه الجكني في هذا ت 1220هـ

ونحن ركب من الأشراف منتظم أجل ذا العصر قدرا دون أدنانا
قد أخذنا ظهور العيس مدرسة بها نبين دين الله تبياننا

الخاتمة:

وسعيا منا بهذا المقال الفكري ، والذي جاء تحت عنوان : "إسهامات المخطوطات العربية في النهضة الثقافية في إفريقيا" (الجزائر وموريتانيا نموذجا) فما هو إلا توسيع لدائرة المعرفة عن مدى تلك الإسهامات العربية في القارة السمراء وخصوصا ماكان منها في الجزائر وموريتانيا ، والتي يتمخض من خلالها رصد جملة من المخطوطات ونتائجها الفكري ، وأثرها العلمي، من أجل تشكيل نظرة تاريخية عن هذه المكتبات، وما حوته من نصوص بالإضافة إلى ذكر ما حوى المخطوط من هوامش وحواش التي تدفعنا لمعرفة الظروف التي مر عليها ، من تملك ، وبيع ، وشراء طيلة قرون من الزمن ، وهذا من المصادر الأساسية التي يجب على الباحث تتبعها، واستنطاقها ، وقد أشرنا ما قد ختم به ابن الأعمش ت 1107هـ شرحه لإضاءة الدجنة ما حدثه به الأخ الشريف محمد بن عمر الوداني أن وجده بخط العلامة محمد بن عبدالكريم المغيلي ت 909 هـ على ظهر شرح له ومن خلال استنطاقنا ما قد وثقه كانت بداية بحث عن ما شرحه من بيوع الأجل من مختصر ابن الحاجب² ت 646 هـ.

والله ولي التوفيق .

المصادر والمراجع :

¹-المرجع السابق الشعر والشعراء ص 32

²-يكون من جملة تراث العلامة محمد بن عبدالكريم المغيلي المفقود لن نطلع قبل هذا التوثيق وقد وصلت منه نسخة في القرن الحادي عشر إلى مدينة وادان التاريخية التي ازدهرت برجالها وبحضارتها فهي توأمة مدينة تيشيت التاريخية فمن رجالها أول شرح لمختصر خليل في بلاد شنقيط : محمد بن أبي بكر ولم نقف على وفاته إلا أنه كان حيا 934هـ

- فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور للطالب محمد بن أبي بكر البرتلي تحقيق كل من الدكتور عبدالودود ولدعبدالله والدكتور جمال ولد الحسن . ط مركز نجيبويه
- مجلة رفوف العدد الأول والثاني والثالث يصدرها مخبر المخطوطات الجزائرية في غرب إفريقيا - جامعة أدرار
- مخطوطات أدرار - الجزائر - اعداد الدكتور: حسان مختار والدكتور بشار غويدري منشورات المركز الوطني في أدرار - الجزائر
- الشعر والشعراء للدكتور محمد المختار ولد اباه
- الرجال والكتب والوثائق من بداية التوثيق إلى نهاية القرن الثاني عشر الهجري في موريتانيا (رسالة الماستر في جامعة شنقيط العصرية في موريتانيا) 2013- 2014- اعداد :محمد الأمين ولد أحمد
- المخطوطات الجزائرية (المكتبة الوطنية ، مكتبة الزاوية البكرية في تمنطيط ، مكتبة قسبة المرابطين في أنزجمير ، مكتبة أقبلي ، مكتبة زاوية أهل بلعمش في تيندوف)
- المخطوطات الموريتانية (المكتبات التي زرتها في: تيشيت ، وشنقيط ، وولاتة ،
- تقرير جمعية شنقيط لجمع الآثار وصيانتها من خلال رحلتها لتبكتو وولاتة وتيشيت وتجكجه 2011م التي كلفتها بها المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم بالرباط
- الأرشيف الذي حصلت عليه من خلال رحلتي "للمدن الأثرية وغيرها من موريتانيا "وتونس، والجزائر ، وتبكتو .